مسارات الفن القصصي في القصة الليبية القصيرة في الستينيات نماذج تطبيقية من عدة فضاءات

إعداد: د. ليلى بركة علي بركة ـ كلية الآداب بالجميل ـ جامعة صبراتة

مقدمة

ظهر فن القصة القصيرة في العالم العربي في الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين ،ويعود السبب في تطورها إلى انتشار الصحافة ،وكثرة الترجمات الأدبية للأدب العالمي ،ومن أهم الأدباء العرب الذين أسهموا في تقديم الأدب العربي بعامة :علي مبارك،جرجي زيدان ،محمد حسين هيكل، محمود تيمور ، توفيق الحكيم ،نجيب محفوظ ، يحي حقي،علي أحمد بأكثير وغيرهم.

بدأ ازدهار القصة القصيرة في ليبيا بعد الحرب العالمية الثانية ،فأخذت ملامحها تتضح وتم ذلك علي يد مجموعة من الأدباء منهم ،وهبي البوري ،علي مصطفى المصراتي ، كامل المقهور ،أحمد إبراهيم الفقيه ،عبدالله القويري ،أبو بكر الهوني ،ويوسف الشريف وغيرهم.[1]

وقد اتضح ذلك التطور في السلوك الاجتماعي ،وتختلف القصص عند كتّاب القصة في سلوكها ، وطبيعة تفكيرها ، وفي ردود أفعالها ، لتعطي الصورة الكاملة لفعل الزمن ،والثقافة والاحتكاك الحضاري وتطور المفاهيم في تغير طبيعة الأشياء.

فالمكان :هو الموضع ،وبعض النقاد يطلقون تسمية الفضاء بدلاً من المكان.[2]

أما الفضاء فهو ما اتسع من الأرض وقد أفضى :خرج إلى الفضاء وأفضى إليه بسره وأفضى بيده إلى الأرض مسها بباطن راحته في سجوده.[3]

"فالفضاء هو ذلك المكان الواسع من الأرض ، والفعل فَضَا يفضو فضوًا فهو فاض".[4]

فالمكان هو البيئة التي يعيش فيها الناس ،ومما لا شك فيه أن الإنسان (ابن البيئة) فهي التي تعطيه الملامح الجسدية ،والنفسية فجميعنا بشر ، فعلى الكاتب أن يهتم بتحديد(المكان)، ويوليه اهتماماً كبيراً؛ لأن ذلك يعطي الحدث القصصي قدراً من المنطق ، والمعقولية.[5]

ويعد المكان من العناصر بناء القصة التي يجب العناية بها ، وقد يعطى الكاتب الأولوية للبيئة الاجتماعية ، كما أنه يولي المناخ السياسي ، أو العاطفي ، أو الإنساني ، فيخضع شخصيته لهذا البيئة التي تناسب مع الأحداث الدائرة فيها ، ومثال على ذلك قصة (زينب) لمحمد حسين هيكل التي يستهدف من خلالها رسم ،وتصوير بيئة الريف الصافية من خلال قصة حب ساذجة.[6]

على الرغم من أن القصة لا تقوم إلا على الأحداث ، والأحداث لا تجري إلا على يد الشخصيات ، فإن كلاً من الأحداث ، والشخصيات لابد لها من بيئة تعيش في كنفها الشخصيات ، وتدور بين أرجائها الأحداث أي أن كلاً من الأحداث والشخصيات يحتاجان إلى وسط يجمعهما ؛ لكي يتم التفاعل فيما بينها ، فهي مثل البوتقة ، أو أنبوبة الاختبار التي توضع فيها المواد للتفاعل .[7]

يوضح مفهوم البيئة بأنها " مجموعة القوى والعوامل الثابتة والطارئة التي تحيط بالفرد ، وتؤثر في تصرفاته في الحياة ، وتوجهها وجهات معينة" [8]

من المفهوم السابق يمكن القول :إن الكاتب يستعين في رسم بيئته المكانية بنفس الوسائل التي يستعين بها في سرد الحوادث أو رسم الشخصيات.[9]

البيئة بمثابة القفص الذي يتحرك فيه الكاتب لكي نتعايش نحن مع قصته ، وكأننا في الواقع مع العلم أن العديد من الكتّاب يجنحون إلى الخيال كما يتم تسمية بعض القصص بأرض الواقع ؛لأن المكان أحد أهم الأسس التي يقوم عليها بناء القصة ، والشخصيات لابد لها من أرض تتحرك عليها ولكي تتفاعل الأحداث مع الشخصيات لابد من وجود وسط تتحرك فيه.

فالقصة الليبية القصيرة كانت في كل الأماكن كما هو حال أي قصة سواء كانت عربية أو عالمية، بالرغم من وجود بعض القصص التي لم تحدد زمن وقوع القصة ، أو كتابتها مثل الطائرة أو القطار ،أو الباخرة فكانت في المنزل ، أو الشارع ، والدكان وغيرها.

والأماكن جميعها بدون استثناء التي يستخدمها القصاصين الليبيون التي أشارت إليها ،عدا ما لا يتوفر في أرضينا ، ويصعب أن يربط القاص بين المكان ، والحدث ، والشخصيات ،كمنجم الفحم ، والذهب أو النهر ،أو البحيرة ، فمن الأماكن التي موقعا في القصص كتّاب القصة في ليبيا "السيارة"، وهي متنوعة فهي إحدى الإمكانيات

المفتوحة لدى القاص لكي يستخدمها الاستخدام الأمثل في ما يريد التعبير عنه ، وعن تلك النماذج البشرية التي قد تجمع ، أو تفرق بينها السيارة .[10]

ويمكن أن تسهم في تغير مصيرها ، وقد تضع حداً لنهايتها ،فهي عند (كامل المقهور) (عجلات السيارة "البولمان"تلامس الطريق المرصوف وتصدر صوتاً يشبها لأنين ..وهمهمات الركاب ... هذا الخليط من الركاب ... أربعون راكباً .. وكل راكب يوحي بخاطر...).

السيارة هي المكان الذي استخدمه كامل المقهور فهي مجرد مكان يجمع أربعين شخصاً لكل منهم همومه ، ومشاغله ،فالمكان مجرد وسيلة لكي يتجمع ذلك النقيض من البشر داخلها إنها إطار الصورة لا عنصر من عناصرها.[11]

كما قلت المكان هو الحيز الذي تدور فيه الأحداث ، والشخصيات فمهما اختلف المكان ، وتعدد وتغير فيظل هو العالم الكبير الذي يختاره الكاتب لكي يجري فيه أحداث قصته ، كما أن له دوراً في الحفاظ على العلاقات الاجتماعية ، والإنسانية.

على الرغم من أن الواقعية هي التي تمنح الفن القصصي طابع الواقعية ، فمهما كانت الشخصيات خيالية ، ومهما حلقت الأحداث في العالم اللاواقع ؛فإن المكان يظل هو الحبل المتين الذي يشدها إلى الواقع.

وقد تناولت في هذا البحث :

1-فضاء الصحراء : يوسف الشريف مجموعة قصصية(الجدار).

2- فضاء القرية : عبدالله القويري مجموعة قصصية(الزيت والتمر).

3- فضاء المدينة : كامل المقهور مجموعة قصصية(14 قصة من مدينتي).

4-موازنة بين هذه الفضاءات.

أولاً- فضاء الصحراء:

ولد يوسف الشريف في الصحراء ،عام 1938 بودان ، درس حتى نال شهادة الليسانس في مجال الاجتماع من الجامعة الليبية ببنغازي سنة 1962. كما تولى الإذاعة عقب قيام الثورة 1969 . من أهم مجموعاته القصصية الجدار-1965 ،وضمير الغائب -1986، الأقدام العارية- 1975.

وزار مدناً كثيرة ، وقرى متعددة ؛ فنجده واصفاً لتلك الأماكن في قصصه ، كما قام بوصف الطريق ، والأشجار وذلك في قصة (الرحيل)حيث يبدأ القاص حكايته بقوله:

"غريب ذلك الحادث الذي وقع في شارعنا منذ أسبوع وسيظل لأيام وشهور ،بل ولسنوات مقبلة ، قصة تروي بشغف في مجالس السمار ، وقبل أن يسرد الحكايات

بكلمات عميقة باهرة فأنا لم أتلقى تعليماً ولا حتى في المدرسة الابتدائية وكل محصولي الذي اضطرتني نظرية أبي عن الثواب والعقاب وضرورة حفظ القرآن إلى الذهاب إليه ...كنا نتحدث أمام دكان الحاج عن الذين يفقدون حب الام مبكرا، ويقعون فريسة لظروف لا يملكون لها ردا ...أن لع شارع آخر غير هذا الشارع ... ثم بدأ يتبعني أينما ذهبت لا يفترق على إلا عندما يتجول بسلة الصغيرة يبيع (الفول)بميدان الشهداء ، ثم يجتمع أمام (البراكة) التي بناها في (السانية) مهجورة خلف البيوت مباشرة ... حدث ذلك عندما كتب منصور بعض العبارات القذرة تتعلق بأم عثمان على جدران بعض البيوت أنفقت أنا وعثمان وقتا طويلاً في إزالتها ... وفي اليوم الرابع ذهبت إليه في كوخه كان يضع لنفسه (براد شاهي معجون)... دخاناً كثيفاً كان يصبغ السماء بلون أسود قاتم يتصاعد من مكان قريب منا..."[12].

في هذا المشهد القصصي صورة من الحياة المجتمع الليبي حيث إن كاتبنا ابن الصحراء لا يعبر عن تلك المساحات الشاسعة ، بل ينتقل بنا بين المدينة ،والقرية حيث يصف لنا الشارع بما فيه من دكان ، ومجالس التي أعتاد الرجال الجلوس ، والسير فيها ، وأيضاً يصل ليصف لنا السوق الموجودة في ميدان الشهداء ، واجتماعهم في البراكة التي بناها في السانية أي المزرعة الصغيرة ، وكتابة بعض الكلمات التي قام بإزالتها من على جدران البيوت ،وأخيراً يصل إلى الدخان الذي يغطي السماء بطبقة سوداء ، وهذا الوصف فيه دلالة من الكاتب على أنه تنقل بين المدن ، والقرى الليبية ولكنه لا يشير إلى حالة الظلم ، والمعاناة التي يعيشها الشعب الليبي على الرغم من أنه أحد شباب ذلك المجتمع ؛ فنجده يعبر عن الحب ، ولكنه ليس بتلك المعاناة التي يعيشها المجتمع في ذلك الوقت.

ونلاحظ شيئاً آخر هو أحد سكان ودان التي تعد إحدى المناطق الصحراوية ، أن أغلب قصصه تقع خارج ودان ، ولعل هذا راجع إلى تنقله بين المدن ، والقرى الليبية ، وأغلب قصصه بعيدة عن المعاناة التي يعيشها الشعب الليبي في تلك الفترة.

يعد يوسف الشريف من الكتّاب الذين صاروا بالقصة الليبية القصيرة إلى التطور ، والخروج من المواضيع التي تتحدث عن الحب إلى الظروف الاجتماعية ، والحالة السياسية التي سيطرت على الساحة في تلك الفترة بالتحديد ، ما كانت تعيشه البلاد من اضطهاد تحت الغزو الإيطالي . وعلى الرغم من أن يوسف الشريف عاش تلك الفترة ؛ فلابد أن تكون قصصه أغلبها تعبر عن الوضع الاجتماعي ، والحالة السياسية للبلاد ، ولكن لم يكن ذلك ، بل صار في مجموعته القصصية (الجدار)في التعبير عن

قصص الحب ، ولكنها لا تعبر عن تلك الفترة ، وهي فترة معاناة الشعب الليبي ، ففي هذا النص نجده يصف لنا الزقاق الملئ بالحركة ،والأطفال يلعبون ،وأناساً جالسون ، وأبواباً تفتح لهذه الزقاق مليئة بالحركة والنشاط ، فهذا يعد من الأماكن المفتوحة ومع أن الأزقة تعد من الأماكن المفتوحة ، فتكثر فيها حركة الناس غير أن أزقة القاص ضيقة وطويلة متعرجة الأمر الذي يوحي بامتداد أحلام الشخصيات ، وعدم الاستقرار.

ونرى يوسف الشريف كيف يستخدم بعض العبارات التي تجعلنا نحس ، وكأننا في الصحراء ، إنما يسير بنا في بعض القرى ، وكأنه يحن لذلك المكان الذي ولد فيه وذلك في قصة (حكاية قديمة)حيث يبدأ القاص حكايته بقوله:

"لم يعتقد أحد ما حدث في الشارع يمكن أن يحدث ..فالمعروف عنه شدّة محافظة على التقاليد .. هذا رغم وجوده قرب المدينة .. فالأسر العريقة وقفت سداً منيعاً أمام بعض المحاولات ... إن القصة كما سجلها عياد بدأت صباح السبت 4 يناير 1964م.. كان الحاج (عبد السلام)يجلس على كرسيه العتيد في الشمس الشتاء أمام دكانه ... عندما دخلت الشارع (عربة حصان) بها فتاة تقارب العشرين ... لم يستمر سوى دقائق عندما اكتسحت الشارع الضيق (سيارة كبيرة مشحونة بمتاع الأسرة) وكاد الحاج يلعن السائق الذي لم يحترمه ويخفف من سرعتها فأثرت عجلاتها سحابة كثيفة من الغبار حجبت عنه رؤية الطريق وقفت السيارة أمام بيت الأستاذ مسعود ...وأصبحت الوسعاية الصغيرة أمام دكان الحاج هي مقرهم الدائم ..."[13]

في هذا النص نجد يوسف الشّريف يصف بعض الأشياء فيتقمص فضاء الصحراء برماله ورياحه وأمطاره من داخل فضاء القرية ، أو المدينة بتلك الأزقة الضيقة ، و السانية ، وتلك الوسعاية التي يلعب بها الأطفال كما يصف لنا بعض العربات من ثم يعود ليصف لنا فضاء الصحراء من غبار ، وبعض الأثاث مثل : الحصيرة القديمة ، والكراسي ، و المندار ، فالغبار يوجد منه ما هو سلبي حيث تتذمر منه بعض الشخصيات ، فهو بدوره يقوم بتحرك الحقيقي للأشياء وسكونها وتعد ذلك الكوكب الملتهب في كبد السماء الذي يعمل على بث روح الحماس داخل الشخصيات في القصة ، وأيضاً يذكر السيارات التي تكون بعيدة عن فضاء الصحراء.

وتعد هذه المجموعة (الجدار) من أروع ما كتب يوسف الشريف ، ولكنه لم يعبر عن الواقع المرير الذي عاشه الشّعب في تلك الفترة ، على الرغم من أنه أحد الكتّاب الذّين واكبوا تطور القصة القصيرة ؛ فخرجوا بها مما كانت عليه من الموضوعات

التي تتحدث عن الحب في علاقة الرجل بالمرأة ، وأيضاً سطوة القدرة الغيبية إلى الحالة الاجتماعية ، والوضع السياسي لها ؛ فأغلب موضوعاته تتحدث عن الحب ، ولكنها قصص حب فارغة ،أو بالأصح قصص حب تصل إلى نفس النهاية إلا قصة واحدة هي الجدار التي تحدثت عن ذلك الجدار الذي أصبح سداً منيعاً بين سليمان ، وأصدقائه ، والسبب رتبة ، أو وظيفة جديدة كونت بينهم مسافات شاسعة .

ونرى يوسف الشّريف كيف يعبر عن ذلك الظلم الذي يعيش فيه أبناء الوطن تحت وطأة الاستعمار من أجل كسب بعض القروش للعيش ، ولكن هذا يعد إحدى وسائل الاستعمار في السيطرة لكي نبقى في ذل ، وقهر خلفه ذلك العدو ، ويوضح ذلك في قصة (الطريق)حيث يبدأ القاص حكايته فنجده واصفاً لذلك المكان ، أو الفضاء الذي حدثت فيه الأحداث حيث يقول :

"طريق يا للي ما تعرفوش الطريق يقولها وكأنه وحدة الذي يعاني من قسوة الطريق ، ويحاول أن يتقدم خطوة إلى أن الأجساد التي تتدافع من حوله في غير اتجاه تعوقه عن ذلك ؟ويلتفت إلى الوراء ليطمئن على ما يرام ، هو أن كل شيء على ما يرام ، هو أن لا تمتد يدّ شيطانية إلى صناديق التفاح الايطالي وتخطف واحدة أو أكثر ، يفكر في هذا – رغم وجود التفاح داخل صناديقه المقفلة – ولو حدث هذا فعليه العوض ، وصناديق التفاح عليه أن يوصلها آمنة مطمئنة إلى مقرها الأخير يقبض بعدها عشرة قروش لا غير ، من سوق الثلاثاء إلى فشلوم عشرة قروش ؟؟ ويهز رأسه في استنكار الطريق ياللي ما تعرفوش الطريق .. وتميل العربة يمينا وشمالاً ويخفق ..."[14]

ففي هذا النص نجده يصف لنا ذلك الفضاء ابتداء من الشارع في فشلوم إلى سوق الثلاثاء، وأيضاً تنقله بالعربة التي كانت وسيلة لكي يحمل بها بضائع الإيطاليين لكي تصل آمنة إلى مكانها المطلوب ، وإذا حدث غير ذلك فإنه يتحمل المسؤولية كاملة ، وهذا نوع من الاضطهاد ، والقهر ، والظلم الذي يعيشه الشعب تحت وطأة الاستعمار فهذه تعد إحدى المشكلات الاجتماعية ، والسياسية التي يعيشها الناس في تلك الفترة.

وقد صار نخبة من الكتّاب في مثل هذه الموضوعات ابتعاداً عن الحب من خلال علاقة الرجل بالمرأة ، فنكب اهتمامهم بالموضوعات التي تحكى واقع حياتهم (خليفة التكبالي) حيث عبر عن الواقع المرير الذي عاش فيه المجتمع الليبي واصفاً ذلك في قصته (الغرور) حيث يبدأ القاص حكايته بقوله:

"كنت اكره هؤلاء الناس .. احقد عليهم .. وانقم على وجودهم حيث اوجد متوهما انهم يضايقونني في رزقي..."[15]

يسير بنا التكبالي كما صار غيره من كتّاب جيله فيعبرون عن الواقع المرير الذي عاشه الشعب الليبي في تلك الحقبة من الزمن تحت سيطرة الاستعمار ، فنجده نفس الشعور الذي كان لدى أغلب الناس في عدم تقبل ذلك المستعمر فقد جاء من أجل السيطرة ، وتحطيم ومن أجل بسط نفوذه السياسية في البلاد فهذا بمثابة تخلف اجتماعي ، وقهر ، واضطهاد ، واستبداد لليبيين من جميع النواحي الاقتصادية ، والاجتماعية ، وكأنه هو صاحب الرزق وهذا أمر لا يرضي به أحد فمن هنا جاء التمرد ، والرفض لذلك المستعمر.

ثانيا- فضاء القرية (عبدالله القويري) الزيت والتمر

ولد عبد الله القويري في قرية سما لوط بمحافظة مينا بمصر عام 1930 درس بمصر حتى نال المرحلة الإعدادية تخرج من القاهرة 1955 ، واشتغل سكرتيراً للشؤون البرلمانية بمكتب وزير الدولة عام 1957 ومن أهم إنتاجه القصصي حياتهم 1960 ،العيد في الأرض 1965، قطعة من الخبز 1965،الزيت والتمر 1967، الفرصة والقناصة 1965.

فمن خلال دراستي لمجموعته القصصية تبين أنه عاد إلى أرض الوطن ، وقد قام بوصف العديد من الأشياء والأماكن ، فهذه المجموعة بمثابة قفزة بالقصة القصيرة إلى التطور ، فقد عاش تلك المعاناة من ثم حنينه إلى وطنه ، وما يجري من ظلم تحت وطأة المستعمر ، فهذا عبدالله القويري يسير بنا في قصصه ومن ذلك قصة (الزيت والتمر)حيث يبدأ القاص حكايته بقوله:

"أحس بدمه يغلى جرت في عروقه دفقات. حارة ، قلبه يدق على صدره زجاج النافذة مشروخ . قطع من دهان الحائط تتساقط . مازالت الشمس لم تغب ... رائحة البصل تملأ يديه رائحة ثوم يقلي عند الجيران تعبق في الجو . ودلو يصيح ، ينادي ، ولكن أي شيء ينادي مات أبوه وتركه ، وترك له أشياء أخرى يعانيها . أمه تموت أحياناً في لحظات ، وهو يموت بعدها أياماً . الأيام طويلة مثل المئذنة ، كان يقارن أحياناً بين طول المئذنة وطول مدخنة (معصرة الزيتون)، جفت البئر في السانية لم تعد للبئر فائدة ، شجرات الزيتون لم تطرح في العام الماضي النخلات".[16]

في هذا النص يوضح عبدالله القويري ذلك الفضاء بكل ما يحمله من السانية أي المزرعة الصغيرة و المئذنة ، ومعصرة الزيتون ، والبئر ، ودلو يصيح في تلك

السانية التي تحدث عنها القويري ، فهنا يحدثنا عن الواقع الذي عاشه فهو بمثابة نقلة من فضاء القرية ، والفرار إلى فضاء المدينة بما تعج به من تكدس الناس ، ولكل منهم حياته فهنا يحدث نوع من الانفصام في العلاقات الاجتماعية بين الناس فهذه أحد المواضيع التي قام بتناولها عبدالله القويري في هذه الفترة الزمنية ، فيحدث نوع من التصادم بين الأم، والابن الذي يريد بيع حصته من السانية ، والانتقال إلى المدينة ولكن الأم لا تريد بيع هذا الإرث الذي تركه زوجها فهي تعده العرض ، والشرف فهذا نموذج للمرأة المسلوبة حقها كامرأة أو كأم هنا ، فهذا نوع من الظلم والاضطهاد الذي يسلب المرأة لكونها إنسانة من حقها أن تمارس دورها في الحياة ، وليس كدمية ، فهناك العديد من الكتّاب من صاروا مع القويري في مثل هذه المواضيع فقد عبر عن الواقع المرير بنسبة للمرأة الليبية الكاتب (على مصطفى المصراتي) في مجموعته القصصية " حفنة من رماد " في قصة " المحطة " حيث يقول حكايته بقوله:

" أصبحت الصبية بارزة النهدين ، محمرة الوجنات ، حلوة التقاطع تسدل شعرها الأسود الطويل على كتفيه...".[17]

ففي هذا النص نجد المصراتي يصور لنا صورة المرأة المضطهدة في جنسيتها في زمن ماض فتم تكليفها بقيود الخوف من خروجها عن نطاق العادات والتقاليد البائدة ففي هذه القصة التي تلزم الأب فيها بأن يقوم بفعل بعض الأشياء بأن يغلق الأبواب والنوافذ.

ونرى عبدالله القويري كيف يصور المجتمع الليبي أثناء الغزو الإيطالي ، وهم في حالة هلع وخوف وفزع التي يعيش فيها الناس وكيف نجدهم تاركين المدينة فراراً إلى القرية حيث تحطمت بيوتهم بنزول قنابل على منازلهم وتم تحطيمها ويوضح ذلك في قصة (كلبي الصغير)حيث يحكي ذلك الواقع المرير نجده أحد الكتّاب الذي أفصح عما بداخله من تلك المعاناة التي يعيشها الشعب حيث يبدأ القاص حكايته بقوله:

" أزيز الطائرات يخرق أذني ، رغم ذلك كنت أبحث عنه أخي يلتصق بي رغم أنه أكبر مني .أمي خلفي أحس أنفاسها تتهدج خلف ظهري .أبي أمامنا جميعاً يعطينا ظهره ويكاد يكبسنا في تلك الزاوية الضيقة من الحجرة ...ألقت بالفوانيس المضيئة التي جعلت الظلام نهاراً.ولكنها لم تلق شيئاً آخر ...فخرجنا مثلما خرج كل من في القرية فرحين مرددين الكلمة التي تعودنا أن نقولها (الحمد لله)...تذكرت بيتنا في طرابلس وأخذتني رعدة عندما تصورته وقد نزلت فوقه شظية فهدت حيطانه وأحس مكشوفاً لكل إنسان يرى وسطه . وقد ترى بعض غرفة تملكني الغضب وأنا أتصور

الناس يكشفون مواضعنا داخل فيرون غرفة والدي ثم غرفتنا أنا وأخي ووسط الدار وبه قصعة تركتها أمي مسندة على الحائط وبقايا حوائج تأثرت من أمي وهي شرع خارجه وكلمات أبي المحنقة تأتيها من الخارج فهو ينتظر مع السائق السيارة ليحملنا جمعياً إلى هذه القرية .المدينة كما قال أبي يومها لم تعد تصلح للسكن فالقنابل تأتي من الجو والشظايا تأتي من البحر والأزيز والعواء لا ينقطع في أية ساعة..."[18]

قد أجاد في وصف ذلك العالم المتناقض بين الطفولة بكل براءتها ، وبين عالم الخداع ، والزيف ، وبين أب مستبد يطلب من أسرته الطاعة ، وبين عالم الغارات والحروب فهذا هو حال المجتمع الليبي وهو يعيش حاله الغزو من قبل الاستعمار الإيطالي وما قام به من فزع وهلع من أزيز الطائرات من بعد ذلك قرارهم الفرار إلى القرية .

ينتقل بنا إلى فضاء آخر دلالة على أنه زار مدناً وقرى وصحاري ليبية ، ونجده واصفاً لتلك الصحاري بما فيها من خيمة ، والتل ، ووادي ، ورمال ، ورياح ،وأصوات الأشجار حيث يبدأ القاص حكايته بقوله:

" ونكس الراعي رأسه فترة طويلة وتنهد خلالها مرات تناول عودا يابساً ، نكس به التراب ،وكسره نصفين ، قذف بنصفه بعيداً واحتفظ بالنصف الآخر بين أصابعه أحس بشيء ثقيل يقبض على صدره تذكر القطيع وهو يجتمع متهالكا إلى جوار خيمته ، وزوجته تمد ساقيها أمام فتحة الخيمة وليس عندها ما تصنعه ، وابنه يجري مسافة قصيرة ثم يرجع ليقف ويضع يده على رقبة النعجة إنها تعرفه وهو يعرفها ... رمتها على مسافة بعيدة خلف التل في الوادي ، صدره كأنما امتلأ بالرمال الحارقة ... وتلاشت الكلمات تحملها الريح التي اشتدت فاهتزت شجرة الزيتون حتى كادت أن تتحطم ... ارتعد الراعي ، أنصال حادة تنفذ إلى جسمه أحس بأطرافه تجمد وتساءل في نفسه عن امرأته ، ترى هل جمعت اليوم ما يكفيها ، أم لم تغادر الخيمة ، تركها في الصباح ... وسمعا طقطقات الحطب ، الريح جافة حادة الليل أقتعد الدنيا اختلطت أصوات الأشجار ، لم يسمعا بعد ذلك إلا صوت الريح ..."[19]

ففي هذا النص اتخذ الكاتب من هذا الفضاء ملجأ حيث يصف لنا يحدث عند نزول الغيث على الرغم أنه أمر الله ؛ فلا اعتراض فيه فهذا نوع من الامتحان على قدرة الإنسان على الصبر كما نجده قد أشار إلى التل ، والوادي فهذا دلالات على المرتفعات ،وأيضاً إلى الرياح ، وما تحمله من شيء إيجابي لسقوط الأمطار ، وأيضاً الحطب ، فهو وسيلة للتدفئة في ذلك الفضاء.

زار القويري عدة فضاءات فهنا ينتقل بنا إلى فضاء المدينة ما تعج به من تكدس الناس ولكل واحد مصيره وحياته ولا توجد تلك العلاقات الوطيدة التي تربط جميع الناس بعضهم ببعض ونجده يوضح لنا اللحظات التي عاشها بطلنا وهو يزور المدينة فلم يجد ذلك العطف والحنان الذي يوصف به أهل الريف كما لم يجد ذلك الترحيب من ابن عمه وأحس وكأنه غريب في ذلك العالم الغريب بالنسبة له حيث يبدأ القاص حكايته بقوله في قصة (مذاق التراب):

" عندما نزل من " السيارة الأجرة " تلفت حوله كثيراً فتأكد أن ليس في انتظاره أحد تأكد من قبل ، بأنه أرسل رسالة إليه ، لم يكتب هو الرسالة ، ولكن كتبها له شيخ الجامع ، وأخذها هو إلى دار البريد واشترى طابعاً ألصقه على المظروف ثم وضعه في صندوق أرشد إليه . أخذته الحيرة فترة طويلة . ماذا يفعل ؟ هل يبدأ السؤال من هذا المكان ؟ ولكن كيف سيدلونه ؟ إنه يملك اسم الزنقة ورقم البيت ؟ ولكنه يتحرج كثيراً من السؤال ؟ لعنه الله على السؤال . ألم يكن في استطاعته بأن يأتي لحظة لا استقبالي، أو يرسل واحدا ممن يسكنون معه؟

بدأ رأسه يهتز يمنا وشمالا، وجسمه يدور معه ، ونظراته تنطلق في كل ناحية ، ولم يلبث أن نكس رأسه ،تاركاً لأذنيه أن تلتقطا نداء أو صيحة ، أو توبيخاً ... ونزل قدميه تحتكان بالرصيف في تثاقل . ضجة السيارات وحركتها كأنها حركة الريح..."[20]

ثالثاً- فضاء المدينة (كامل حسن المقهور) 14 قصة من مدينتي.

ولد كامل المقهور في مدينة طرابلس ، عام1935وتلقى تعليمه الأول بها ثم انتقل إلى مصر لدراسة القانون حيث تحصل على درجة الليسانس من كلية الحقوق بالقاهرة 1957 ،قام بنشر نتاجه في طرابلس الغرب ، والرائد ، وفزان وغيرها ومن أهم إنتاجه القصصي 14 قصة من مدينتي 1965، الأمس المشنوق 1968،حكايات من مدينة البيضاء 1997،ياسمي صبي المي 2000.

فنجده واصفاً لذلك الفضاء الكبير المليء بالناس من كل حدب وصوب مع اختلاف جنسياتهم ، وأعمارهم ،و أطباعهم ومستوياتهم ، وذلك في أغلب قصصه مبين ذلك الفضاء الغريب ، ومن ذلك قصة (بوخة) حيث يبدأ القاص حكايته بقوله:

"فقد كنت أحس طريقي في الزقاق الضيق وكانت رجلاي تنتقلان فوق الأرض السوداء للزقاق وفوق حجارته القديمة ...فعلى اليمين يمتد طريق إلى المدينة القديمة .. وبعد ان أجتاز الشارع الضيق القذر والدكاكين المرصوصة بها الأنوال ودكاكين الحلوى التي يبيعها اليهود .. ويعد الكتّاب وباب الجامع .. ثم دكاكين الكتبة العموميين

..بعد كل هذا سوف اصل إلى سوق الخبز ، ثم انحرف إلى السوق الكبير ... وعلى اليسار .. يسار العرصات الأربع يمتد نفس الشارع .. ولكنه يلتوي في اتساع أكثر وعلى جوانبه تقوم حوانيت كثيرة وفوق الحوانيت بيوت كثيرة..."[21]

ففي هذا النص نجده واصفاً دقيقاً للمدينة القديمة بطرابلس مسقط رأس الكاتب ، فنجده يصف هذا الفضاء الضيق داخل الأزقة المليئة بالقذارة وأيضاً كتّاب وجامع وأيضاً دكاكين الكتبة العموميين وأيضاً سوق الخبز.

مازال كامل المقهور يصف لنا فضاء المدينة بكل ما يحمله في طياته ، فهنا يصف لنا المدينة أثناء الغزو الاستعماري كيف تصبح المدينة خالية من أهلها والناس تعيش في رعب وخوف فبين لنا ذلك في قصة (الخائفون) حيث يبدأ القاص حكايته بقوله:

" أيام الغارات وقد خلت المدينة من الناس ، وعتمت أضواؤها ، ماتت فيها معالم الحياة ..والسكون يحطم أعصاب الناس .

سكون .. دائماً هذا السكون .

حتى الجازات في البيوت كانت تخفى بقماش ازرق ، أو تطلى بلون قاتم حتى لا يراها راكبو الطائرات .. حتى أضواء عيوننا كنا نخاف أن تظهر في الظلام أو تلمع في الجو ، وصرخات الصغار .. وعواء الكلاب ، وكانت في نظري مدعاة للضيق ، ويجب اخمادها .. فيجب أن يعم المدينة السكون .. دائماً نفس السكون..."[22]

ففي هذا النص يسير بنا الكاتب في هذا الفضاء ، وهو فضاء المدينة فهو مكان متكدس الناس فهنا يبين لنا ما يحصل للناس أثناء ذلك الغزو كيف أن المدينة تصبح خالية ؛كما تنعدم الحياة فيها فهذا الاستعمار جاء لكي يستعمر ويحل ويستوطن ذلك المكان ليكون الشعب تحت سيطرته فيمكن أن تطلق عليه مصطلح الهيمنة أكثر من استعمار فالكاتب عندما عاد من رحلته وجد البلاد على هذا الحال المحزن فأخذ يعبر بقلمه أو يمكن أن نقول يحارب ذلك المستعمر فقد خرج من المواضيع التي تعبر عن الحب إلى التطور والانتقال بالقصة القصيرة إلى الحالة السياسية التي كانت عليها البلاد في فترة الستينيات بمثابة السلم للقصة القصيرة.

يعد كامل المقهور أحد الكتّاب الذين كان لهم يد في رقي هذا الشكل من أشكال النثر في ليبيا فنجدها تعبر عن هموم المواطن الليبي آنذاك.

وقد صار كاتبنا كغيره من كتّاب عصره حيث طاف البلاد مدنها وقراها وصحراءها ، فهنا يتحدث عن فضاء القرية حيث يصف تلك الوسعاية التي نصبت فيها خيم الطليان ، وأيضاً النخلة التي اعتادوا الجلوس تحتها ، وأيضاً يتكلم عن الأزقة

الضيقة فهنا يتحدث عن تلك البساطة التي يعيش فيها المجتمع الليبي قبل الغزو فبين ذلك في قصته قصة (عاشور) حيث يبدأ القاص حكايته بقولة:

"منذ شهرين فقط كان (عاشور) يجلس معنى تحت النخلة في الوسعاية ويحكي لي الكثير ، وكانت جبهته العريضة تلمع تحت الشمس ، وعيناه تبتسمان وهو يحدثني عن (الزينة).

-بعد شهر .. اللحمة ياخوي !

وتهزني نشوة صغيرة وأنا افتح فمي في فرح

-ودِيني لاني راقص في فرحك..!

ويظل يحكي كالأطفال ، ومئات الحاجات الصغيرة تتدفق من قلبه وصورة (الزينة) يلعب بها الهواء في فضاء الوسعاية ... في ذلك الصباح أحسست أنني لن أعيش .. ولم يكن في خاطري عاشور كنت أحس مئات العائلات تنقل مكانها من حينا الذي سكناه من زمن ، وكانت أفواجهم تغلق الأزقة والنساء غير محجبات يجمعن الاطفال ، والرجال يبحثون عن السلاح .. وكان الجو كله معبقا برائحة البارود ، والخوف كابوس كبير يظل بأنفاسه الحيطان ، ويسكن في الوسعاية حيث نصبت خيم الجنود..."[23]

ففي هذا النص يوضح لنا كيف يتعامل البطل في القصة برفضه كل أساليب الاستعمار وعدم الاستكانة له على الرغم من أنه في بعض الأحيان تكلفه حياته ،ولكن لا يبالي بذلك، فهذا يسمى أدب الرفض ، وعدم الخضوع ، وقد صار العديد من الكتّاب من بينهم (عبد السلام أبو رقيبة) في قصته " السر الكبير"

كما صار – أيضاً- التكبالي في هذا المسار حيث رفض الاستكانة لأساليب الاستعمار ، نجده يعبر عن ذلك في قصة (الكرامة).

رابعاً- الموازنة بين الفضاءات

أولاً – فضاء الصحراء:

نجد أن يوسف الشّريف ابن الصحراء لكن في قصصه لا نجد إلا أنه يتقمص لنا بعض الألفاظ لنعود معه إلى الصحراء التي ولد بها ، وبذلك نجده ينتقل بنا بين المدن والقرى الليبية ، فيصف لنا ذلك الواقع من خلال الهموم التي يعيشها المجتمع من العلاقات الاجتماعية والحالة السياسية لأن قبل ذلك من الصعب على الكاتب التعبير بقلمه وبالأصح محاربة ذلك الغزو الاستعماري وبذلك نجد الكتّاب يعبرون عن بعض الظلم الذي كانت تعيشه المرأة مضطهدة من قبل الرجل وأيضاً بعض حالات الفقر

التي يعاني منها المجتمع ، فمن خلال دراستي لمجموعته القصصية (الجدار) لاحظت الأتي:

1- على الرغم من أن يوسف الشّريف أحد شباب الوطن ، وعاش ورأى ما كان أو يجري أمامه إلا أن قصصه أغلبها تعبر عن الحب ، وتصل إلى نفس النهاية المفتوحة ، وفي بعض قصصه نجده يتحدث عن واقع اجتماعي تعيشه البلاد في تلك الحقبة .
2- يغلب في قصصه أسلوب السرد ، والتكرار ويبتعد عن الحوار.
3- من خلال دراستي لبعض من قصصه ، فلم أجده يعبر عن ودان بطريقة صريحة ، وإنما يشير إليها ببعض الألفاظ والعبارات.
4- يستخدم العديد من المحسنات البديعية في قصصه.
5- نلاحظ تسمية المكان الذي تدور فيه أغلب قصصه باسم القصة نفسها دلالة على أن الكاتب مهما حلق خياله فتظل الواقعية هي الخيط الذي يجري داخله.

ثانياً- فضاء القرية:

ولد القويري في سما لوط بمصر في قرية من قراها ، وعاش فترة من الزمن من ثم أرجعه الحنين إلى الوطن فوجده تحت وطأة ذلك المستعمر وفي ظروف اجتماعية قاسية فقد عبر عن ذلك الوضع الذي يعيشه الشعب في تلك الحقبة كما تنقل بين مدنها وقراها وصحاريها ، فكان ذلك واضحاً في قصصه التي تناولتها بالدراسة في مجموعته "الزيت والتمر " لاحظت الآتي:

1-أجاد التعبير عن فضاء القرية بشكل واقعي حيث يوضح لنا قدر المشكلة التي تواجه الناس في تركهم للقرية والذهاب إلى المدينة حيث تكدس الناس ولكل منهم همومه ومشاغله.

2-استخدم في قصصه أسلوب الحوار وأيضاً السرد وكان يغلب في قصصه الحوار العامي بين الشخصيات.

3-على الرغم من أنه ولد في مصر الشقيقة إلا أنه عبر عن الواقع الليبي وعن المآسي والظروف الاجتماعية ، والاقتصادية ، والحالة السياسية للبلاد في تلك الفترة فعلاً أن مجموعته القصصية هذه كانت بمثابة قفزة بالقصة القصيرة لما كانت عليه في الفترات السابقة وأصبح لها شأن يذكر بين القصص العالمية والعربية بفعل كتّاب هذا الجيل.

4- أغلب قصصه تدور حول القلق مما كان يجري في الواقع الليبي المعيش في تلك الفترة.

5-تهدف مجموعته القصصية إلى فكرة ما يجري في الواقع المعيش .
يعد القويري أحد الكتّاب الذين صاروا بالقصة الليبية القصيرة إلى طور التطوير والتعبير عن هموم الرجل الليبي ، ومشاكله فكانت نظرة متأزمة مليئة بالغضب والاحتجاج فيعد القلق سمة رئيسية في نماذجه فهذا القلق يجعل من صاحبة نموذجاً متردداً غير قادر على اتخاذ قرار أو موقف إيجابي ، وفي بعض الأحيان يقود صاحبه إلى الاستسلام أمام ظّروف اقتصادية يفرضها عليه الواقع المرير.

كما نلاحظ – أيضاً- أن كاتبنا عاش فترة غربة خارج الوطن وذلك نراه منعكساً في مجموعته القصصية.

ثالثا- فضاء المدينة:

ولد المقهور في هذا الفضاء الذي تتكدس فيه الناس ، ولكل منهم مشاغله ، وحياته فلا تربطهم تلك العلاقات الاجتماعية كما هي في فضاء القرية ، والصحراء فكاتبنا زار المدن ، والقرى ، والصحراء ، وقد عبر تلك الفضاءات بالأخص المدينة حيث وصف لنا تلك الشوارع والمدينة القديمة وما يوجد بها من حوانيت والنوالة ودكاكين لبيع الحلوى ، وأيضاً يوجد مخابز للخبز ، فمن خلال دراستي لمجموعته القصصية (**14 قصة من مدينتي)لاحظت الآتي:**

1-خروجه من الموضوعات التي كانت تسير عليها في الغالب القصة القصيرة في الفترات السابقة ، وسيره في قصصه الموضوعات التي تعبر عن الواقع الليبي من ظروف اجتماعية ، ووضع سياسي كانت تسير عليه البلاد.

2-استخدامه في قصصه أسلوب السرد والحوار المباشر .

3-زار كاتبنا عدة فضاءات ، وعبر عنها ن وعن ظروفها الاجتماعية ن والحالة السياسية للمجتمع الليبي آنذاك.

فمن خلال دراستي للفضاءات الثلاثة فكل كاتب عبر بطريقته الخاصة فمنهم من عبر عن الوضع الراهن للبلاد ومنهم من خرج عن ذلك على الرغم من أنه ابن البلاد وأحد شبابها فوجدت الأكثر تعبيرا عن الواقع الليبي ، وعن ظروفه الاجتماعية من فقر ، واضطهاد للمرأة والوضع السياسي الراهن عبدالله القويري ، وكامل المقهور .

الخاتمة

تم بحمد الله إنهاء دراستي لمسارات الإبداع القصصي في القصة الليبية القصيرة في الفترة الستينيات ، تعد هذه الفترة بمثابة قفزة بالقصة الليبية القصيرة في حين أنها ابتعدت عن قصص الحب ، وأصبحت تتحدث عن الواقع الاجتماعي بكل مآسيه من

قهر ،وظلم ، واستعباد وإلى غير ذلك ، وأيضاً للنفط دور كبير إلى مجيء الاستعمار الذي أدى دوراً كبيراً في خلق الفزع ،والخوف في قلوب الناس ؛ فمن خلال دراستي لثلاثة نماذج من قصص مختلفة لكتّاب ليبين من فضاءات مختلفة ،وكل يعبر بطريقته ،ولكن الهدف واحد توصلت إلى الآتي:

1- إن القصة الليبية واكبت القصص العربية والعالمية حتى أصبح لها شأن ودور يذكر بين القصص.
2- كما أنها تعبر عن هموم المجتمع الليبي من فقر وظلم وسطوة الاستعمار فهي تعبر بصدق عن الواقع.
3- أغلب كتّاب القصة في هذه الفترة صارت كتاباتهم تتحدث عن الواقع الليبي بظروفه السياسية والاجتماعية .
4- من خلال الشخصيات في القصص الليبية أنها يغلب عليها طابع المعاناة والعناد وذلك السبب يعود إلى الظروف الجغرافية .
5- كما أن أغلب القصص كتبت بلغة عامية لتعبر عن تجربة صادقة وترسم لنا أثارها الفنية .

الهوامش:

1-ينظر دراسات في النقد الرواية- طه وادي – ص 29.
2-ينظر لسان العرب – لابن منظور الأفريقي المصري للأمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم – مادة: مكن.
3- ينظر مختار الصحاح – للرازي للشيخ الإمام محمد بن بكر بن عبد القادر – ص276.
4- لسان العرب – لابن منظور – مادة فضا.
5- ينظر دراسات في نقد الرواية – طه وادي – ص 36.
6- ينظر القصة والرواية – عزيزة مريدان – ص30.
7- ينظر تذوق الأدب طرقه ووسائله – محمود الذهبي – ص 155.
8- ينظر المصدر السابق – ص155.
9- ينظر فن القصة – محمد يوسف نجم – ص 89.
10- ينظر المصدر السابق –ص154.
11- ينظر الفصول الأربعة مجلة فكرية ثقافية – على فهمي خشيم –ص154.
12-الجدار – يوسف الشريف-ص 31-33.
13- المصدر السابق – ص 47-49.
14- المصدر نفسه- ص 39.
15- الأعمال الكاملة –خليفة التكبالي- ص 289-290.
16-الزيت والتمر-عبدالله القويري –ص 9.
17- خمسون قصة قصيرة – على مصطفى المصراتي – ص 391.
18-الزيت والتمر – ص45-46.
19-المصدر السابق – ص56-59.
20-14 قصة من مدينتي – كامل المقهور –ص22-23.
21-المصدر نفسه – 43.
22- المصدر نفسه – ص149-150.